توت عنخ آمون ، فدققوا النظر من جديد فى ذلك الفن المصرى القديم ونحوا نحوه ، وصاروا لا يقفون فى التمثيل على ما يرون بعيونهم ، انما عمدوا الى الرمز فى النحت والتصوير لترسل مخيلتك فى البحث عما يرمزون ، فلا يقف نظرك على تفاصيل الجسم أو الرداء بل يلجئك الفنان الى البحث عما يريد من معنى ، وليس من السهل الوصول الى ما يريد والوقوف عليه . ويمتاز الفنان الماهر بأن يقدم لك ما تقرأ فيه كل يوم جديدا . ألم يحدثنا الصديق الدكتور طه حسين بأن هذا مانحا نحوه بعض شعراء الفرنسيين ؟ عاش مختار فى هـــذا الجو وأدرك سر الاقدمين المصريين ، فعمد بالمعاول الى رسم الطريق للجددين ؛ وبعث من جديد فنا كان يشعر أنه يفيض من حبه لمصر ، فغنى على قيثارته (القاهرية) و (الفلاحة) و (بنت الشلال .)

أنظر الى تلك القاهرية تختال فى ردائها تجدها الملاك الطاهر فى حلم النائم لا تفتر تنظر اليها ، ولا يرتد نظرك عنها ، ثم تعاودك طيفا تحار فى فهم روحها ولا تجسر أن تبادرها بالسؤال .

أما بائعة الجبن فانك تراها فى صور الاقدمين ، لكنها لا تحمل شيئا بل ترمز الى الروح ، وهى رافعة ذراعيها على هـذا النمط . فقدها مختار من قطع بائعات الجبن جميعا ، فهى رقيقة حقا لكنه اعطاها الصلابة البرنزية وتركها للخلود . . .

رأى مختار مثالا الشيخ البلد فى دار الآثار المصرية ، فكان جديرا بان يصنع مثالا لامرأته ، انظر اليها تجدها جمالا ووقارا يجلبان الاحترام وقوة معنوية تسحر اللب . . . .

وبنت الشلال هى تخليد بديع ملىء بروح ذلك العنصر من سكان الشلال ، اهتدى اليها مختار عند وادى الجرانيت فأنطقها ترنم بنشيد النيل والصحراء والشمس المحرقة والحياة الحزينة . . . . .

وتلك المرأة فى القيلولة تجدها فى دار الآثار شبيها لها امرأة كانت تخبز ، غلب عليها النعاس امام الفرن فنامت . هى صورة لبعث القديم واحياء الجديد من الفن

عاش مختار سنين فى باريس ، وما كان يأمل فى الحياة بقدر ما كان يأمل أن يكون له بيت فى قرية مصرية بين تلك المصريات ويعبر عنهن بالملكات اللاتى أحب حركاتهن وسكناتهن ، يحملن الماء وغير الماء ، يأكل مما يحلو لهن أكله ، مرتديا ذلك السروال الواسع الاكمام

وما كان يلذ له التمتع بأى شىء وحيدا ، فان دعاه داع الى الغداء

السفسطائيون

للاستاذ زكى نجيب محمود

. . . . اذن فقد كانت آسيا الصغرى مهداً تقلب فيه الوليد الجديد وظل حينا يتعثر ، حتى استقام بعد لأى على قدمين لم ترسخا الا فى عصر شديد ، فقد حدثتك فى فصل سابق أن العقل الناشىء لم يكد يستيقن من وجوده ، حتى أرسل البصر يستطلع أصل الوجود ، وجاهد ما استطاع لكى يصل فى تعليله الى مبدإ معقول ، فالتمسه فى الماء والهواء ، ولكنه أفلس ، ثم عدل عن مادة الكون الى جوهره ومعناه ، فأفلس كذلك ، وهكذا لبث اليافع فى عثاره ، يستقيم ليكبو ، ويكبو ليستقيم ، حتى كانت غارة الفرس الداهمة ، التى اجتاحت المستعمرة اليونانية فى آسيا الصغرى ، ففزع الفلاسفة ربما ، وهاموا فى فجاج الارض فرادى يحملون قبس الفكر ، حتى انتهى طرف منهم الى بلاد اليونان . . .

أنظر ! فهذى بلاد اليونان قد صاغها الله يدا مبسوطة ، كأنما تريد أن تلقف بأصابعها الناتئة فى مياه البحر حضارة القدماء من الجنوب والشرق ، بسطت كفها فتناولت من مصر مدنية كانت حينئذ قد بلغت شأوا بعيداً ، واستعارت من بابل وأشور وآسيا الصغرى شذرات منثورة من العلم والمعرفة . . وقد أراد الله لتلك

مثلا اشترط لذلك دعوة اخوانه جميعا وان لم يعرفهم جميعهم الداعى

لقد كان يحب ان يعيش بين القلوب لا بين الاجساد . ما عاش مختار لنفسه ، بل عاش للفن — ان كل ما نراه اليوم بمصر من جهود فنى ، هو فى الحقيقة اثر من آثاره — فقد كان المحرك لارسال البعثات الفنية ، وفى فتح مدرسة الفنون الجميلة ، وفى اقامة المعارض والاشادة بذكر الفنانين ، كان يحلم بايجاد ادارة للفنون تحت رياسة وكيل ثان للمعارف على نسق النظام المتبع فى فرنسا

وبالاختصار كان مختار روح الفن فى مصر نفثه فى جميع المصريين حتى نطقوا باسمه جميعا ، وصارت « نهضة مصر » عنوانا لكل صاحب مهنة وفن فى القاهرة ، وفى جميع القرى المصرية ، فكفاه تمجيدا تمجيده ليوم من ايام مصر .

سامى كمال

البلاد اليونانية أن تكون وعرة المسالك ملتوية الأديم ، تنهض على صدرها الحزون وترتفع الجبال ، فانحصرت بين شعابها طائفة من الأودية ، كانت فى عزلتها كالأوكار ، نشأت فى أكنافها مدن متفرقة ، ليس الى اتصالها سبيل هين ميسور ، فسلكت كل واحدة منها طريقا بعينها فى الدين والثقافة ونظام الحكم . ولبثت تلك المدائن متنافرة متناكرة ، لا تلتقى فى وحدة قومية ، اللهم الا اذا أغار عليها مغير يطمع منها فى غزو وسلطان . وذلك ما حدث عند ما جاءت من الشرق جيوش الفرس يقودها عظيمهم داريا ، عندئذ انعقدت الخناصر على التحالف بين اثنتين من تلك المدن اليونانية ، كانتا أشدها بأسا ، وأوفرها قوة وأبلغها رقيا وتقدما ، تحالفتا على أن تعد إحداهما الجيش ، والاخرى تهيء الاسطول ، ومن ذا تظن أن ينهض بتهيئة أسطول ضخم قوى غير الأثينيين ، الذين لهم من موقعهم صلة وثيقة بالملاحة وركوب الموج ، وأما الأخرى — اسبرطة — التى عرف رجالها بالبأس والقوة ، فقد جهزت جيش الدفاع .

وقعت الحرب وانتصر اليونان ، فعاد الأثينيون بأسطولهم وقد اتخذوه بعدئذ أداة للتجارة ، ظلت تجوب جواريه المنشآت فى جوف البحر الأبيض ، تحمل منها واليها التجارة من كل صوب ، وما هى الا أن تزخر أثينا بتلك التجارة الصادرة الواردة ، ويعلو ذكرها فى الاسواق ، وتصبح مركزا تلتقى عنده الأقوام والاجناس ، لكل قوم دينه ، ولكل جنس ثقافته . واذا بهذه الألوان المختلفة يضطرب بعضها فى بعض ، ويخالط بعضها بعضا ، فتمتزج الثقافات جميعا والديانات جميعا فى صعيد واحد ، ويكون لذلك كله نتيجة محتمة ، هى المقارنة والتحليل ، وبالتالى نشأة الفكر الصحيح . وهذا بديهى معقول ، فالمذاهب المتضاربة ينسخ بعضها بعضا ، وتدنو بالناس الى الارتياب والشك فيها جميعا

واذن فقد كانت أثينا ، عند ما طوح القدر بذلك القبس الخافت من آسيا الصغرى بيئة صالحة وتربة خصبة ، يستطيع أن يستقر فى أرضها ذلك الشعاع الضئيل ، حتى اذا ما امتد به الزمان قليلا ، سطع لامعا وهاجا فى عهد الاساطين الثلاث : سقراط وافلاطون وارسطو

حمل تكسجوراس الى أثينا تلك البذرة الاولى للتفكير الفلسفى وقد كانت وليدة الافكار السابقة التى نشأت فى آسيا الصغرى وجنوب ايطاليا . فلعلك تذكر أنى وقفت بك فى تتبع السلسلة الفكرية عند المذهب الذرى ، الذى رد الكون الى ذرات دقيقة تجتمع وتأتلف فتكون هذا الشىء أو ذاك ، ولكنك تستطيع أن تسأل أشياع ذلك المذهب ، ما الذى يبرر عقلا أن تجتمع طائفة معينة من الذرات فى صورة ما دون صورة أخرى ؟ خذ الانسان مثلا ، فهو عندهم مجموعة ذرية لا أكثر ولا أقل ، فهل تظن أن من اليسير على عقل منطق أن يقنع بان تلك الذرات الجامدة تأتلف بطريق المصادفة العمياء ، فتنتج ملايين الأفراد على غرار واحد وفى هذه الدقة من التنسيق ؟! كلا ! يستحيل ألا يكون وراء هذه الذرات المادية عقل مدبر حكيم ، يملك تصرفها فيجمع بينها ثم يفرق جمعها تبعا لما يقتضيه قصد معين وهدف منشود . . . فى الكون اذن عنصران متميزان : مادة ترى بالبصر وتحس بالأيدى ، وعقل خفى يكمن وراء أستار المادة ، يسلك بها ماشاء من سبل ، وهو حكيم رشيد ، يعرف أين يسير بمادته فى سبيل سواء . . . هذا ما حمله انكسجوراس الى أثينا ، فبدأت الفلسفة اذن طورا جديدا . . . لم يعد العقل يلتمس أصل الكون وعلته فى ماء ولا هواء ، ولم يعد يلتمسه فى قاعدة رياضية ، أو فى ذرات تفترق وتلتقى على غير هدى ، بل جاوز العقل فى جولته حدود الطبيعة المحسة ، وضرب فيما وراءها ، واذن فما أجدرنا أن نضع انكسجوراس فى مرتبة من تاريخ الفلسفة عالية رفيعة اذا كنا نفرق بين مراتب رجالها . فهو بين الفلاسفة أو لمن رأى فى الكون رأيا ناضجا ، يصدر عن رشد ووعى ، بالقياس الى اسلافه الذين لم تزد أقوالهم على سذاجة الطفولة الحالمة

ترى من هذا كله أن العقل قد لبث طويلا يبحث فى حقيقة الكون فانتهى الى نتائج متنافرة متباعدة ، وتشعبت عليه السبل وكثرت الحلول ، فكان طبيعيا أن يقف منها جميعا موقف الشك والريبة فكلها حق ان شئت . وكلها باطل ان شئت ، فلنطوح بها هشيما تذروه الرياح ، ولنترك الكون وما يحوى لا نطرقه بالبحث الآن ، وليكن موضوع بحثنا منذ اليوم هو الانسان ، فهو سيد الأشياء ، وهو وحده الفيصل الحكم ازاء هذه المذاهب الفكرية ، يعتنق منها ما يشاء ، ويطرح ما يشاء فى زوايا الاهمال . وليس لأحد سلطان على أحد فى ان يوحى اليه بفكرة أو رأى ، فما تراه انت حقا فهو حق ، وما تراه

أنت باطلا فهو باطل .. ما تلمح فيه النفع لشخصك فهو الفضيلة العليا وكل ما يناقض هواك فهو رذيلة وشر ، لا تأبه بتقاليد ، ولا تصدق الناس فيما يذهبون اليه من خير وشر ، فأنت دولة وأنت مالكها ، لك أن تحكم فيها بما تشاء وتهوى ... انظر ! هذان رجلان يشخصان ببصريهما الى الشمس تنحدر الى خدرها ساعة الغروب فتخلعت على الأفق غلالة حمراء ، فيفتن جمالها واحدا منهما حتى ليكاد يطفر راقصا مفتونا بما يرى . وأما الآخر فينظر اليها شزرا واستخفافا ، بل انه ليستصغر من ضخامته ، فليس ثمت فى الشمس جمال ولا شىء يشبه الجمال !! فمن ذا يستطيع أن يقنع أحد هذين بخطأ رأيه أو بصواب ؟ ولم لا يكون كلاهما على حق ؟ واذا كانت الأهواء والميول والمشاعر متضاربة متناقضة ، لا تجتمع فى نزعة واحدة ، ولا يمكن ان تدور رحاها حول قطب واحد ، أفلا يكون شططا منك واعتسافا أن تقسر تلك المجموعة المتنافرة على أن تلتقى كلها عند حقيقة واحدة ؟! ومن ثم يكون حقيقا بمنصب الحكم بينى وبينك فيما نحن فيه مختلفان ؟ كلا ! ليس ثمت حقيقة واحدة ، بل الحقائق فى الدنيا بقدر ما يضطرب فيها من أفراد البشر ، فليذهب كل فرد مذهبه فى الكون وفى ظواهر الكون ، ولا يخشين بأسا من نقد أو تجريح لما يذهب اليه ، فهو لا يقل حقا وصوابا فيما يرى عن أى رجل آخر ، بالغا ما بلغ من العبقرية والنبوغ ... تلك هى العقيدة التى حملتها طائفة من الناس فى أرض اليونان ، وأخذت تجوب بها الانحاء والأرجاء ، تذيعها فى الناس فى ذلاقة وطلاقة وحسن بيان ، حتى اجتمع حولهم طوائف الشباب جميعا ، يتلقون عليهم ذلك الشك ، ويتعلمون عنهم طرائق التشكيك وأساليب المحاورة والمداورة فى الخطابة والحوار لقاء أجر يعظم ويضؤل تبعا لما يتلقى الشاب من عدد الدروس ... وانما أعنى بتلك الطائفة جماعة السفسطائيين ، ولم يكن ذلك الاسم عندئذ يحمل ما يحمله اليوم من تحقير ، بل هم جماعة أحبوا الحكمة كما يحبها كل فيلسوف ، لولا هذه الزلة التى سقطوا فيها فأسقطت من قدرهم ، وهى تقويم الحكمة بالأجر

وأبرز أولئك السفسطائيين رجال ثلاثة : بروتاغوراس وجورجياداس وهياس ، ولقد أنكر ثانيهما وجود الأشياء جميعا وحتى لو فرضنا جدلا أن ثمت فى الكون أشياء لها حقائق ثابتة ، فلا يمكن أن نوقن بأن الصورة الذهنية التى نعرفها لتلك الاشياء مطابقة لها تماما ، فمن الجائز ، بل من المرجح ، بل من المؤكد أن حقيقة هذا العالم الخارجى تخالف فى وجوه كثيرة صورته الذهنية التى أحلها له ... وهب أنك تستطيع أن تصل الى معرفة مطابقة للواقع فانه يستحيل عليك أن تنقل هذه المعرفة للآخرين ، لأنك مضطر الى التعبير عنها فى كلمات ، ولا أحسب فى الدنيا أحدا يشك فى أن اللفظ شىء والمعرفة نفسها شىء آخر . وإذن فهما قلبت الأمر على وجوهه فلن تصل الا الى نتيجة واحدة ، وهى أنه لا يمكن أن يكون فى الوجود حقيقة موضوعية مجردة يجمع عليها ، بل الحقائق ذاتية تختلف باختلاف الاشخاص ، واذن فمن العبث أن يستمع فرد الى رأى فرد آخر ، ولا يجوز لك أن تصغى لغير ما تراه وتشعر به ، ولا تختار من كل ذلك الا ما تصيب عنده نفعا

أجمع السفسطائيون على ذلك ، ولكنهم ذهبوا فى السياسة مذهبين : فريق يدعو الى العودة الى أحضان الطبيعة واستيحائها فيما يجب أن يرسم للجماعة من نظام وقانون — كما فعل روسو فيما بعد — ولما كانت الطبيعة عندهم تسوى بين الافراد ، لا ترفع أحدا ولا تخفض أحدا ، اذن فسحقا لهذه المدنية التى تجعل من الناس طبقات بعضها فوق بعض ، فذلك نظام مفتعل دخيل على طبيعة الانسان جدير بنا أن ننبذه فى جرأة حازمة ، ولا ينبغى لنا أن نأبه لهذا القانون الذى تواضعت عليه الجماعة ، لأنه من وضع القوى ، فرضه على الضعيف فرضا لا يجيزه حق ولا تجيزه عدالة ، انما القانون العادل هو الذى ينزل الأفراد منزلة سواء ، ومعنى ذلك أن تكون الديمقراطية مثلا أعلى للحكم .

وأما الفريق الآخر ، فقد دعا الى النقيض — كما فعل نيتشه فيما بعد — الست ترى من الناس فيلسوفا عبقريا بجانب الغبى الأبله ، اليس منهم الضعيف الخائر الى جانب القوى ذى العود الصلب ؟ اذن لم تسو الطبيعة بين الافراد ، كلا ولا الاخلاق ابتكرها القوى انما هى على النقيض من ذلك ، خدعة أوحى بها الضعيف ليحد من قوة القوى وسلطانه .. ولا يتردد هذا الفريق فى الدعوة الى الارستقراطية فى الحكم ، وهذا الهجوم العنيف على الديمقراطية وحكمها يصور لنا نهوض جماعة من الأغنياء الأذكياء ، أرادوا أن يغتصبوا من الشعب السود والسلطان ، بحجة افلاسه فى ادارة البلاد

فأنت تستطيع أن تسخر من مذهب السفسطائيين ، ومن حقك أن تهمله اهمالا وان تنبذه نبذ النواة ، لانه خطر على الاجتماع ، خطر على الأخلاق ، خطر على العقائد ، خطر على كل نواحى الحياة الانسانية ، لأن قوام هذه اليقين والايمان فى مجموعة من الحقائق التى تفرض على الناس فرضا ، سواء صادفت هوى من